واقع الحركة الوطنية الاستقلالية في الجنوب الغربي الجزائري (1945 -1954) من خلال وثائق أرشيفية

د. جيلالي بلوفة عبد القادر
قسم التاريخ وعلم الآثار
جامعة تلمسان

مقدمة

شكلت الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية الى اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية (1945-1954) مرحلة حاسمة ومتميزة في تاريخ الجزائر المعاصر عامة وتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية الاستقلالية الممثلة في حزب الشعب الجزائري –حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والمنظمات الداعمة لها خاصة، ولازالت في حاجة إلى دراسة تاريخية معمقة، بالخصوص ما تعلق منها بواقع وتطور الحركة الاستقلالية في مناطق مونوغرافية محددة في الجزائر.

يتعلقالأمر في هذه الدراسة بالجنوب الغربي الجزائري، والذي لم يستوف حقهفي حقل الدراسات التاريخية وهو مانسعى إليههنا واعتمادا على وثائق أرشيفية.

لقد لقي الاستعمار الفرنسي صعوبة في التوغل بأراضي الجنوب نظرا للمقاومة الشعبية التي واجهته، ولم يكتمل الاستعمار الا في عشرينيات القرن العشرين، وأصبحت أراضي الجنوب الغربي الجزائري بصفة خاصة والجنوب بصفة عامة تحت نظام الحكم العسكري، لقد حدد قانون ديسمبر 1902 ومرسوم أوت 1905 التنظيم الإداري لمناطق الجنوب الجزائري إلى غاية صدور

القانون العضوي للجزائر (20 سبتمبر 1947)، حيث ألغيت ميزانية أراضي الجنوب وأدمجت مع الميزانية الخاصة بالجزائر... [1]

وجد حزب الشعب الجزائري المؤسس منذ 11 مارس 1937 صعوبة في تأسيس خلاياه وفروعه في منطقة الجنوب الغربي الجزائري، انطلاقا من مناطق الشمال الجزائري نظرا لعدة ظروف واعتبارات وهي : البعد والامتداد الجغرافي وصعوبة الاتصال، المراقبة الاستعمارية وموقف الإدارة الفرنسية تجاه قيادة حزب الشعب الجزائري ومبادئه، وكذلك اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939، وإعلان فرنسا حالة الطوارئ والأحكام العرفية الاستثنائية، أي منع أيّ نشاط سياسي للحزب الذي حول نشاطه إلى "العمل السري".

لم يكن لحزب الشعب الجزائري قبل 1945 خلايا قوية إلا في سعيدة، وأفواج في عين الصفراء وبشار.

1- 18 **ماي** 1945 **في سعيدة :**

انتهت الحرب العالمية الثانية في الجزائر على وقع ارتكاب الإدارة الاستعمارية لمجازر عمت عدة نواحي من الجزائر، من سطيف، قالمة، وخراطة وعلى مدى أسابيع (8-23 ماي 1945).

يصنف البعض أسباب هذه المجازر [2] إلى عوامل داخلية مرتبطة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي في العام بالجزائر، ونشاط حركة أحباب البيان والحرية (A. M. L) وفشل الإصلاحات الاستعمارية وإلى عوامل خارجية مرتبطة بآمال الشعوب المستعمرة في تطبيق مبادئ

ميثاق الأطلسي وحق تقرير المصير وتأسيس هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية واقتناع الشعب الجزائري بأن نهاية الحرب هي انتصار لكل الشعوب خاصة المستعمرة وفرصة لإسماع صوت ومطالب الجزائريين. [3]

وربط آخرون ما وقع في ماي 1945بأنه "إثارة ومحاولة فاشية ومن تدبير نخبة وطنية جزائرية". [4]

بينما يرى الجزائريون الذين عايشوا وصنعوا هذه الأحداث، وهم من رموز الحركة الوطنية غير ذلك، ومنهم كيوان عبد الرحمان، فحسبه"إن إدارة حزب الشعب قررت الاحتفال بنهاية الفاشية بالتظاهر عند نهاية الحرب، فلدى الحزب لا يحتفل بنصرة الحلفاء من قبل أعدائنا ... ونظل نحن متفرجون". [5]

وحسب شوقي مصطفاي "إن دوافع مظاهرات ماي 1945كانت لإثبات قوة وشعبية حزب الشعب الجزائري. [6].. "، رغم الفترة الصعبة التي لم تكن تسمح بالشروع في أي عمل ثوري عنيف.

شهدت جل المدن الجزائرية تنظيم مظاهرات (1 ماي و8 ماي 1945) ومنها مدن عمالة وهران [7] : اتصفت هذه المظاهرات بكونها سلمية ورفع المتظاهرون شعارات سياسية انتهت بالاصطدام وتدخل السلطة الاستعمارية ووقعت المجازر بداية من سطيف وقالمة وخراطة.

ومن أجل رفع الغبن والضغط الاستعماري على هذه المناطق، وفي جو متوتر وصعب قرر التنظيم السري للحزب في اجتماع [8] تعميم الانتفاضة، حيث حدد موعد انطلاقتها ليلة 23- 24 ماي 1945، وكلف عبد الله فيلالي بنقل القرار إلى منطقة الغرب الجزائري [9]، لكن في ظرف وجيز تبعه قرار مضاد يلزم توقيف أي عمليات فدائية، وهو ما يؤكد صعوبة التنسيق بين إطارات وقادة التنظيم السري للحزب وفي تقديرهم للظروف المحيطة، حيث لم يصل "القرار المضاد" المانع لأي انتفاضة في عدة مناطق، ومنها سعيدة.

وعلى العكس من ذلك، أبلغ مناضلو حزب الشعب الجزائري بسعيدة بالانتفاضة يوم 16 ماي وألزموا "بإحداث اضطرابات وإثارة عامة واحتلال مرافق عمومية واغتيال مسؤولين فرنسيين، حسب تقرير أمانة الحاكم العام لعمالة وهران ليوم 8 أكتوبر 1945. [10]

تنفيذا للقرار اجتمعت خلية الحزب بسعيدة تحت رئاسة ميموني لحسن، وحددت الأهداف ووزعت المهام حسب الأفواج.

وفي سرية تامة تمت الإغارة على مقر البلدية يوم 18 ماي 1945 ، ليلاً بداية من الساعة الحادية عشر مساءاً، من قبل فوج مصغر تحت قيادة إبراهيم أحمد، فتم إحراق الطابق الأول (قاعة الاجتماعات ومكتب رئيس البلدية)، ونفذ فوج آخر مهمة قطع الأسلاك الكهربائية وحرق مستودع للخشب...

كانت هذه الأعمال منفردة ومبادرة خاصة في سعيدة، لتخفيف الضغط الاستعماري على مناطق الشرق الجزائري [11]، التزم أعضاء حزب الشعب الجزائري الأوامر المركزية مدركين صعوبة الظروف، وبعد شهر ثم كشف أفواج وخلية حزب الشعب في سعيدة واعتقل مناضليه. [12]

اتسم تنظيم وهيكل الحركة الاستقلالية الممثلة منذ 1946 بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالازدواجية بين العمل العلني السياسي والنشاط السري، والذي مثله المنظمة الخاصة المؤسسة منذ فبراير 1947 كجناح شبه عسكري كانت مهمته تحضير انطلاقة الثورة التحريرية [13].

كان هيكل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية قويا ومنظماً في عدة مناطق من الجزائر، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، رغم الاضطهاد من قبل الإدارة الاستعمارية، وهو دليل على قوتها الشعبية، "وإن الحركة المضطهدة أكثر هي الصحيحة أكثر من غيرها [14]".

شكلت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بداية التوغل للحزب وجناحه السري نحو المدن الصغرى والقرى والدشرات. . فكيف كان هيكله في منطقة الجنوب الغربي في أقاليم صحراوية تميزت بحكم عسكري [15].

كانت منطقة الجنوب الغربي داخل هيكل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تابعة لفيدرالية عمالة وهران الموزعة إلى ولايتين:

- الولاية الثامنة : وهران.
- الولاية التاسعة : معسكر والجنوب الغربي الوهراني التي قسمت إلى دوائر :

- دائرة معسكر : بها قسمات معسكر وسعيدة وخلايا في مدن عديدة.

-دائرة عين الصفراء : ضمت قسمات عين الصفراء والبيض، وكان مكي أحمد على رأس هذه الدائرة، وقد لعب كل من شامي أحمد وبن ديدة الشيخ دورا مهما في الدعاية والإعلام على مستوى القسمتين [16].

-دائرة القنادسة : على رأسها عمارة محمد، وضمت قسمات : بشار، وبشار الجديد، بني عباس، بني ونيف وخلية في أدرار.

-دائرة المشرية : ضمت قسمة واحدة، وقائدها : بوشاغو محمد.

من خلال تصفح الأرشيف الجزائري الموجود في اكس أون بروفانس (Aixen Provence) بفرنسا، وقفنا على ملاحظتين مهمتين :

1. غزارة المادة التاريخية الممثلة في تقارير مسؤولين عسكريين وإداريين حول تتبع ومراقبة العناصر والأفراد المنتمين إلى هيكل الحزب.

2. تداخل كبيربين التنظيم العلني للحزب (MTLD) وجناحه السري (المنظمة الخاصة).

وبالتالي، وللأمانة العلمية فمن الصعوبة وضع هيكل قار من حيث الأسماء والتعداد، نظرا لتطور الهيكل باستمرار من جهة، وإلى طابع السرية في نشاطه من جهة أخرى.

2- الهيكل الثنائي للحركة الاستقلالية في بشار :

شكلت بشار مقر دائرة ضمن هيكل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وأصبحت منذ مطلع 1950 مركزا ومنظما نظراً لعدد المنخرطين المتزايد ولدور الدعاية الممارسة من قبل نشطاء وأعضاء في الحزب ... كانوا في تنقل مستمر بين مدن الجنوب وشمال الجزائر.

ومنهم باقي بوعلام منذ إطلاق سراحه من السجن في ديسمبر 1949 [17].

ضمت دائرة بشار (الدائرة رقم 5 ضمن فيدرالية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية لعمالة وهران) خمس قسمات : وهي

عين الصفراء، بني ونيف، كولومب بشار، القنادسة وبشار الجديد وشكل مكتبها من خمسة عشر عضوا.

تفرعت قسمة بشار إلى ستة أفواج ضم كل فوج عشرة مناضلين وقائدا.

وتكونت قسمة القنادسة من أربعة أفواج واثني عشرة خلية.

واحتوى قسم دائرة بشار الجديد على خمسة أفواج.

قد بلغ تعداد الأعضاء النشطاء داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في دائرة بشار : 200 عضو نشط و1400 منخرط [18] في منتصف 1950.

ويحصي تقرير آخر التنظيم الهيكلي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية في دائرة بشار (الدائرة الخامسة) ومكتبه المسيّر المتكون من :

- عروسي أحمد- المندوب العام.
- عبد الكافي جزولي [19] - المندوب المساعد.
- علايلي قويدر- الأمين العام.
- حفصي سليمان- الأمين العام المساعد.
- بن راشد بوعزة – أمين الخزينة.
- محمد ولد حجام- أمين مساعد للخزينة.

والأعضاء : أغلال سليمان، رزيني الشيخ، فراجي بن أحمد، زعبوب محمد، سعيدي مناد، ليمان عبد الرحمان، بن سالم محمد، ساحل محمد، العبدي أحمد بن علي.

ويعتبر هذا المكتب بمثابة لجنة لتسيير شؤون دائرة بشار لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وهو على رأس قسماتها : بشار، عين الصفراء، بني ونيف، بشار الجديد والقنادسة... [20]

وقد عرف هذا الهيكل تغييرًا : حيث أصبح على رأسه المندوب العام توهامي الطيب، ودخله أعضاء جدد في مكتبه المسيّر (1952) مثل : دحماني سليمان مكلف بالدعاية والإعلام، ضيف الله الطيب (مكلف بالنشر)، بن جودي الشيخ مكلف بالاتصال مع الولاية.. وجكاني علي مكلف بالاتصال والتنسيق مع القسمات . [21]

وفيما يخص التنظيم السري للحزب على مستوى بشار، فقد تميز ببقائه حتى ما بعد اكتشاف المنظمة الخاصة، حيث تواجدت أربعة أفواج سرية في بشار الجديد، الشعبة (Chaaba)، والمخطط الجديد (plan nouveau) : هي قرب القصر ودبدابة.

وكان من قادة هذه الأفواج : فراجي بن سالم، زعبوب محمد بن الطيب، ابراهيم بن عبد الكريم ونعاس محمد.

وكـــان تحـــت امـــرة كـــل قائـــد فـــوج خليـــتين (Cellules)، وتتشكل كل خلية من قائد ومناضلين اثنين... وهو هرم شبيه بهرم المنظمة الخاصة (الهرم الثلاثي).

أمـا في القنادسـة فكـان التنظـيم السـري يتشـكل مـن أربعـة أفواج على الشكل التالي :

الفوج	قائد الفوج	عدد الخلايا	ملاحظة
الأول	نرغان عمر	06	في كثير من الأحيان تعداد الخلايا غير معروف ولا رؤساءها، أن التنظيم سري والأسماء مستعارة في كثير من الأحيان والأشخاص غير معروفين. (22)
الثاني	عمارة عمر	04	
الثالث	محمد ولد عبد الرافع محمد ولد لحسن ولد	02	
الرابع	محمد	03	

3- نشاط حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في المنطقة :

_تنوعـت مظـاهر نشـاط الحركـة الاسـتقلالية في منطقـة الجنوب الغربي، وشكلت مدن بشار، البيض، سعيدة : مراكز هامة خاصة منذ بداية الخمسينيات من القرن 20 م.

ومن أساليب هذا النشاط السياسي : المظاهرات والإضراب والكتابات الحائطية وتوزيع المناشير والاجتماعات السرية.

ولعب قادة هذه الهياكل المحلية للحزب دورا رئيسيا في تشيط الخلايا والقسمات والدعاية لمبادئ الحزب وأهدافه والاتصال بالفئات الشعبية.

ومنهم بلكسير عبد القادر ولد محمد – مستشار بلدي عن حركة الانتصار –سعيدة وكان من بين منظمي مظاهرات سعيدة في 18 ماي 1945 .

ومؤذن موسى- مندوب القسمة المحلية –القنادسة التي كانت تضم 12 خلية مدمجة ضمن4 أفواج والتي عرفت تأطيرا مهما منذ 1950 [23].

وقد أطّر الحزب اجتماعات سرية لتوعية المناضلين، وقد كان يحضرها رجال غرباء عن المنطقة(على الأرجح أنهم من رجال الدعاية والاتصال لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية)، وكذلك عمليات جمع الأموال لصالح عائلات المعتقلين والمساجين خلال مناسبات دينية ووطنية، مثل جمع41000 فرنك من قبل مناضلي قسمة البيض(ماي 1950) [24].

رغم المشاكل المادية وصعوبة الاتصال والمراقبة الاستعمارية إلاّ أن عمل ونشاط خلايا حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ظل مستمرًا، بل تشير تقارير عديدة إلى أن خلايا كثيرة عرفت انخراطات جديدة، مثل خلايا البيض في فبراير [25] 1952، وهي

الخلية التي كانت وراء تنظيم إضراب شبه عام في المدينة يوم 23 ماي 1952، حيث أضرب أكثر من 20 تاجرا عن العمل .

ووزع الحزب نشريات سرية باللغة العربية والفرنسية بعنوان "مذكرة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية للحكومات" [26].

ومن الأعضاء البارزين الذين كانوا وراء نشاط هذه الحركة في مدينة البيض :

"الحاج بن العربي، وهو ابن إمام من بشار كان يتنقل تحت غطاء "التجارة"، وكثير الاتصال مع مناضلي الحركة في مدينة البيض. . . وكان يدعو إلى الثورة. [27]

وقد عمت دعاية الحركة مدن أخرى مثل عين الصفراء، والتي شهدت ليلة 7 نوفمبر 1952 كتابات حائطية وملصقات ... وقد يكون من عمل عناصر من حركة الانتصار وهم حسحاس إبراهيم وبوتكيل بن عبد الله، حسب تقرير القائد العسكري [28] .

وفي نفس الشهر، وبمنطقة القنادسة، تم ضبط مناشير سرية كانت توزع من قبل عناصر من حركة الانتصار. ، وقد وصلت هذه المناشير من بشار [29].

ولم يسلم عناصر الحزب من المراقبة، وحتى في تنقلاتهم خارج المنطقة.

قد كانت الكشافة الإسلامية الجزائرية وسيلة دعم لنشاط حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في المنطقة.

وكان لزيارة بوزوزو القائد العام للكشافة الإسلامية الجزائرية لعدة مدن في الجنوب الغربي (14- 23 فبراير 1949) : المشرية في 17فبراير، وعين الصفراء في18 فبراير وبشار في 22 فبراير و23 فبراير... وفيها كان له خطاب حول مزايا الكشافة الإسلامية، علما بأن النشاط الكشفي لم يكن قويا في المنطقة خاصة من حيث تعداد أفواجه ومنخرطيه، إذا استثنينا فوج بودرغة بالبيض [30].

خاتمة

من خلال ما سبق، يمكن الوقوف عند عدة ملاحظات واستنتاجات تاريخية :

1. نشاط الحركة الاستقلالية في الجنوب الغربي الجزائري، اتسم بالازدواجية بين العمل السياسي العلني والسري، وعرف تطور نوعي منذ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

2. شكلت مدينة بشار محور نشاط "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية"، إضافة إلى مراكز أخرى : مثل سعيدة، البيض، النعامة وعين الصفراء، حيث استطاعت حركة الانتصار أن تصل هذه المناطق، عن طريق الدعاية، خاصة بفضل "رجال الاتصال" الذين كان لهم الدور الأساسي في نشر مبادئ وأفكار الحزب.

3. إن الأرشيف المتصفح يحمل معلومات دقيقة عن شخصيات عديدة، لعبت دور الاتصال والدعاية للحزب، ومنهم : بلكسير عبد القادر (سعيدة)، مؤذن موسى (القنادسة)، عروسي أحمد والحاج بن العربي (بشار)، وغيرهم كثير. . .

ولعل تعمق دراسة هذه الشخصيات دراسة بيوغرافية تدقيق لفهم أدوارها ونشاطها داخل الحزب.

4. من خلال تصفح الوثائق الأرشيفية، صادفتنا عدة مواضيع تاريخية تحتاج إلى دراسة وتنقيب عميق، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

- مظاهرة 19 ماي 1951 ببشار، والتي كانت سلمية وسياسية ومن شعاراتها "أطلقوا سراح خيضر، شارك فيها شبان جزائريون وانتهت باعتقال خمسة منهم، وهم من حركة الانتصار وبتهمة استعمال العنف ضد عون أمن، وبوفاة الرقيب من الشرطة الفرنسية ميرا سولي[31] (MIRASOLI) .
- إضراب القنادسة : (ماي- جويلية 1951) من تدبير خلية عمالية، نقابية PPA-GGT إضراب نقابي تحول إلى مطالب سياسية. [32]

ومواضيع أخرى تحتاج إلى دراية أكبر وأوسع.

الهوامش

1- Archives nationales d'outre-mer (ANOM), GGA, Direction des Territoires du sud, Roger Leonard, IMP, officielle Alger 1953 P 6 _8

2- هنـــاك توظيـــف لمصـــطلحات عديـــدة في وصـــف "8 مـــاي 1945 في الجزائـــر" : مجازرأحداث، وانتفاضة...

3- EL-hachemitrodi,Ben M'hidi : l'homme des grands rendez-vous, Ed, ENAG, Alger, 1991, P, 47,

4- Xavier Yaccono, Histoire DE L'Algérie, Ed, L'atlanthrope, Paris, 1993, P, 341.

5- Kiouane Abderrahmane, aux sources immédiates du 1er novembre 1954, ED, Dahlab, Alger 1993, P, 109-124.

6- Ibid.

7- جيلا ليبلوفة عبد القادر، نشاط حزب الشعب الجزائري –حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران، رسالة الماجستير في التاريخ، جامعة وهران-2002 ص 131-135 .

8- كان الاجتماع السري تحت رئاسة دباغين محمد الأمين وحضره كل من محمد طالب، مزغنة أحمد وعبدون محمد وشرشالي الحاج.

9- محمد عباد، 8 ماي 1945 وحقوق الانسان، الشعب، ع : 12224، الجزائر، 8 ماي 2000.

10- Mekhaled Boucif, Chroniques d'un massacre ; 8 mai 1945, ED, Syros, Paris, 1995, P. 181.

11 –Ainad Tabed Redouane, 8 mai 1945 en Algérie .OPU, Alger, 1987, P. 228.

12- جيلالي بلوفة عبد القادر، نفس المرجع، ص، 138.

13-Direction D'Archives de la Wilaya D'Oran DAWO, Préfecture d'Oran. SLNA n°371, Rapport, Mai 1950.

14- عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 125.

15- بموجب قانون 1902/12/24 : الصحراء الجزائرية أصبحت موزعة إلى أربع مقاطعات إدارية هي : عين الصفراء، غرداية، توغرت، ورقلة.

16 -ANOM, 81F776 .

17-ANOM, 5J118, SLNA, DOSS .Personnel Baki Boualem.

18 - ANOM, 81F776, et CAB 81, ORG, PPA-MTLD, dans l'agglomération de Colomb-Bechar, Aout. 1950.

DIR, T. S. Service Affaires Militaires.

19-تاجر، مولود في 1905، حكم عليه في 1948 بالسجن مدة 3 شهور، وقد استقبل خيضر محمد في منزله (أكتوبر 1950) وكذلك عناصر من حزب الاستقلال المغربي في فبراير 1951 ... متستر تحت مظلة الاشتراكيين (SFIO) حسب تقرير عسكري –ينظر إلى : ANOM, 9H77, BECHAR, décembre /1952.

20-ANOM, 81F776, PRG, Territoire du Sud, Rapport, Mai1950
21- ANOM 9H77, Territoire du Ain Sefra, Affaires Sahariennes, 13 /11/1952.
22 - ANOM, 81F776, Fonds ministériels, P. R. G. Territoires du sud. juin. 1950.
23 -ANOM, 9GAB81. Bulletin l, Affaire sahariennes, 1950.
24 -Ibid.
25 - ANOM, 10CAB 154 ; PRG, Bulletin, n°02,Février. 1952.
26 -Ibid.
27-ANOM, GGA, D. T. S, Bulletin n°6, Juin, 1953.
28 -ANOM, 9H77, RAPPORT, Rispal,, du12/11/1952.
29 -ANOM, 9H77, Région militaire, Sec Ain sefra, 1952.
30- ANOM, 9CAB48, GGA, Direction territoires du sud, Bulletin. février 1949.
31-ANOM, 10CAB154, Bull n°7, Juillet 1951.
32-Ibid.